يا ولدي :

عش ما شئت فإنك ميِّت ، وأحبب من شئت فإنك مُفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مُجزى به ، والعلم بلا عمل جنون .

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة : ٤٩] .

والعمل بغير علم لا يكون ، فلابد منهما معاً ، وإن العلم وحده لا يبعدك عن المعاصي ، ولا يُنجيك من النار ، فإذا لم تجتهد في العمل لتقولنَّ يوم القيامة : ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة : ١٢] .

فيُقال لك : يا هذا أنت من هناك جئت ؟![1] .

* * *

ماذا عن الهميان[2]؟!

دخل رجلٌ حانوتاً لبيع العطر ومعه طبقٌ في يده ، وأعطى البائع عشرة دراهم وطلب منه بعض الأنواع المعروفة ، ولما أراد أن يمضي سقط الطبق فانكبَّ جميع ما فيه ، فبكى الرجل ، وسأله الحاضرون عن سرِّ بكائه ، فقال : كنت في القافلة الفلانيَّة فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار وما جزعت لضياعها ، لكن اليوم ولد لي ولد فاحتجنا لأُمِّه ما تحتاج النُّفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم ، فخشيت أن أشتري بها حاجة النُّفساء ، فأبقى بلا رأس مال ، وأنا قد صرت شيخاً كبيراً لا أقدر على التكسُّب ، فقلت في نفسي : أشتري بها شيئاً من العطور فأطوف به

---

(١) رسالة الإمام الغزالي إلى أحد تلاميذه .

(٢) الهميان : حزام جلدي كانوا يضعون فيه الدراهم والنقود .

صدر النهار ، فعسى أستفضل شيئاً أسدُّ به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسَّب به ، لكن الآن وقد انكبَّ الطبق لم يبق لي إلا الفرار منهم وهذا سبب جزعي .

فقام واحد من الموجودين في الحانوت ـ وكان جندياً ـ فأخذ بيد الرجل وذهب به إلى بيته ، ثم قال له : أعد عليَّ قصة الهميان ؟!

وأعاد الرجل القصة ، فذهب الجندي إلى داخل غرفةٍ في البيت ، ثم عاد قائلاً :

وما هي علامات هميانك هذا يا شيخ ؟ وتحدَّث الرجل الكبير بتفصيلات الهميان .

فأخرجه الجندي من ورائه قائلاً : هل هذا هو هميانك ؟ .

حينها صاح الشيخ الكبير : هذا هميانى والله ، وفيه كذا وكذا وعلامته كذا وكذا . . .

وفعلاً فُتح الهميان فوجدت الدراهم كما هي ، وأراد الرجل أن يعطي الجندي شيئاً من الأموال مكافأةً له ، لكن الجندي رفض ذلك قائلاً : ما كنت آخذ على أمانتي مالاً .

وهكذا فرج الله عليه شدَّته ، وفكَّ كربته .

وصدق الله تعالى حين قال :

﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

* * *